

## أضواء البيان

@ 421 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ

يُدَبِّرُ الْأَسْمَانَ فَسَيْقُولُونَ اللَّهُ فَعَقُلْ أَفَلَا تَتَذَقُونَ } . فقله : {

فَسَيْقُولُونَ اللَّهُ } دليل على معرفتهم نعمته . وقوله : { فَعَقُلْ أَفَلَا

تَتَذَقُونَ } دليل على إنكارهم لها . والآيات بمثل هذا كثيرة جداً . .

وروي عن مجاهد : أن سبب نزول هذه الآية الكريمة : أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه

وسلم فسأله . فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ

بُيُوتِكُمْ سَكَناً } فقال الأعرابي : نعماً قال : { وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَسْمَانِ

نُعَامَ بُيُوتًا } . قال الأعرابي : نعماً ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الأعرابي : نعماً حتى

بلغ { كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } فولى الأعرابي

. فأنزل الله : { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا } . وعن السدي رحمه

الله : { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ } أي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ينكرونها .

أي يكذبونه وينكرون صدقه . .

وقد بين جل وعلا : أن بعثة نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم من منن الله عليهم . كما قال

تعالى : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا

مِّنْ أَنفُسِهِمْ } . وبين في موضع آخر : أنهم قابلوا هذه النعمة بالكفران . وذلك في

قوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا

وَأَحْلَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَدْوِ } . وقيل : يعرفون نعمة الله في الشدة ، ثم

ينكرونها في الرخاء . وقد تقدمت الآيات الدالة على ذلك ، كقوله : { فَلَمَّا نَجَّاهُمْ

إِلَى الْبَدْرِ إِذْ أَنهَمْ يُشْرِكُونَ } ، ونحوها من الآيات إلى غير ذلك من الأقوال في

الآية . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَأَكْثَرُهُمْ الْكَافِرُونَ } قال بعض

العلماء : معناه أنهم كلهم كافرون . أطلق الأكثر وأراد الكل . قاله القرطبي والشوكاني .

وقال الشوكاني : أو أراد بالأكثر العقلاء دون الأطفال ونحوهم . أو أراد كفر الجحود ، ولم

يكن كفر كلهم كذلك ، بل كان كفر بعضهم كفر جهل . قوله تعالى : { ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا } . لم يبين تعالى في هذه الآية الكريمة متعلق الإذن في قوله { لَا

يُؤْذَنُ } ولكنه بين في ( المرسلات ) أن متعلق الإذن الاعتذار . أي لا يؤذن لهم في

الاعتذار ، لأنهم ليس لهم عذر يصح قبوله ، وذلك في قوله : { هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ  
وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } .